

التربية الطبيعية

لا نريد الخروج من هذا الموضوع خروجًا تامًا دون الإشارة إلى فصل جليل في موضوع التربية في البيت، نشرته جريدة الأهرام الغراء في عددها الصادر في يوم ٢٤ أيلول (سبتمبر) من عام ١٨٩٧م تحت عنوان "التربية الطبيعية"، وهو وإن يكن فيه تكرار لبعض ما تقدم لنا بيانه في الفصول السابقة، خلبق بأن لا يخلو هذا الكتاب منه وهو:

"للإفrench ولع في ترقية النوع الإنساني، ولكتابهم شغف شديد في البحث عن كل ما يرقى بهذا النوع إلى مدارج السعادة، فهم يتبعون الطفل من مهده حتى يدرج في لحده، وينقبون في جميع ما يتقلب عليه من الأطوار وما يعتوره فيها من موجبات النقد والإصلاح، تذرعا إلى بلوغ هذه الغاية التي يسعون وراءها: وهي سعادة الإنسان".

ولقد وقفنا في جريدة (البيتي جورنال) علي فصل نشره أحد كبار كتاب الفرنسيين عنوانه (التربية الطبيعية) يريد بها تربية الأطفال علي نمط يكفل صحة أبدانهم، ويزيد في نمو عقولهم، وذلك بأن تنبذ تلك المصطلحات القديمة في تربية الطفل والغلام، ويستعاض عنها بما سيجيء في عرض كلام هذا الكاتب إيثارا لسلامة البدن، ووقاية العقل، فقد قيل أن العقل السليم في الجسم السليم.

وأن من أهم ما ورد في هذا الفصل الكلام عن الرضاع والقماط، ورياضة

الأحداث، وحالة الغلمان في المدارس. وقد جاء في الكلام عن الرضاع أنه يجب أن لا يتغذي الطفل إلا بلبن أمه، أو بلبن مرضع سليمة البدن، هذا إذا تعذر علي الأم الرضاعة، فإن لبن النساء أفيد للطفل، فلا يجب أن يتغذي بسواه إلى أن يتجاوز العام.

أما ألبان الحيوان فإنها تضر بالأطفال إضرارًا عظيمًا: منها عسر الهضم، والتورم، وقد ينتج عنها الكسح في بعض الصغار. وأما شد الأطفال بالقمط علي الطريقة المصطلح عليها اليوم فهو من أشد ما يمر بالطفل من الأخطار؛ إذ لا يجب أن تكون ثياب الطفل ضاغطة عليه إلا ضغطًا يسيرًا، وذلك فإن الضغط عليه يعد من أعظم عقوبات ذلك الطفل الصغير. ولأن يترك الطفل بغير قمط وبغير اعتناء بلباسه خير له من تقييد تمريناته الطبيعية الأولى.

وأما رياضة الأطفال فيجب أن تكون علي ما يتطلبه ضعفهم من الرفق، فلا يجب أن يحموا علي السرعة في المسير، كما أنه لا يجب علي الطفل أن يدرج أو يعود المشي قبل أن يبلغ الشهر الخامس عشر من عمره؛ لأن قدميه لا تستطيعان حمل جسمه قبل ذلك الحين. وليعلم الآباء، والأمهات، وكل من تناط بهم تربية الأطفال: أن الطفل شديد التوق إلى الحركة، كثير الميل إلى المشي، يتطلبه مجزع، فيفرغ جهده وينال من ذلك أكثر مما يطلب منه، فلا يجب حثه علي المشي والحركة، ولا منعه عنهما. بل يجب أن يدعو وشأنه ذهابًا مع العوامل الطبيعية. وأن الرياضة مفيدة له، وهو يسوء بها أضعاف سرور المرين الذين يصحبونه فيسير جيئة وذهابا بغير انقطاع، وأحب شيء لديه أن لا يوبخ علي ما يفعل، وأن لا يدعى إلى السرعة في المسير عندما يدعو إليها ضيق الأوقات، فإذا روعيت هذه القاعدة في رياضة الأطفال فقد نجح الطفل نجاحًا عظيمًا في الدور الأول من أدوار الحياة، فإنه بعد أن يقضي زمن الرضاع علي

الشرط الذي عيناه من الغذاء بلبن أمه، وعدم شده بالقمط، تقوي معدته، ويسهل هضمها، وتنمو أعضاؤه بأسرها نموا منتظما علي أتم ما يكون من التناسب. ويجب أن لا يحرم من الرياضة البدنية: كاللعب في المساحات النقية الهواء، والألعاب اليدوية، والمشى، وركوب الدراجات، وما شابهها متى نشط لها، فإن جميع ذلك مفيد له. أما مصيف الصغار فتستحسن الشواطئ البحرية لذوي الأمزجة الليمفاوية منهم، ولكنها تضر بالعصبيين، وقد تبين بعد الامتحان أن هواء الجبال أفيد لأكثر الصغار، وأن مصيفهم في الشواطئ يجب أن يكون بأمر الأطباء.

بقي علينا البحث عن حالة الغلمان في المدارس فنقول:

أن معاملة التلاميذ في المدارس علي ما نراه اليوم لا تنطبق في شيء علي القوانين الصحية، وقد آن لنا أن نَعْلَم ونحن في أواخر القرن التاسع عشر أن سجن التلميذ اثنتي عشرة ساعة كل يوم ينصب فيها مكرهًا علي الدروس المملة المضجرة يعد من أقوى دلائل الهمجية. وأي فرق يوجد بين تلك المدارس وبين السجون المعدة للأشقياء غير أن السجين يجبر عليه ولا يعمل، والتلميذ يجبر عليه ويجهد بالعمل معًا، فإنه لا تكاد تزهق نفسه من درس حتى يبتلي بآخر، وهكذا دواليك إلى أن ينقضي النهار بين ما ذكرناه من إجهاد العقل وإزهاق الروح، وبين ما يصيبه من حسر النظر لكثرة التحديق، وهي علة فشت بين أكثر التلامذة كما نشاهده كل يوم بالعيان؛ ذلك فضلًا عما يتعرض له التلميذ من فساد الهواء لطول مدة اجتماع التلاميذ في غرفة واحدة، ولطول مدة إقامته في مقعد واحد.

وقد يكون هذا المقعد غير ملائم له، فتلتوي حركة الأعضاء وهي لينة في الأحداث، فتنمو علي اعوجاج، كما أثبتته أحد الباحثين بتصوير أعضاء تلميذ

وهو جالس علي مقعده في المدرسة، وتصوير الأعضاء نفسها والتلميذ حر مطلق، فكانت في الصورة الأولى معوجة مضطربة. وفي الثانية علي أتم الاستواء. ثم أن المعلمين يجهدون التلاميذ بالتمارين البدنية بحجة تقوية الأعصاب، وقد فاتهم أن الأعصاب تابعة للثة، فلا تسلم إلا بسلامتها، وكيف تسلم رثة الغلام وهو يقاسي ما ذكرناه من الإجهاد والنصب؟.

هذا بعض من كل مما نراه من الخلل في التربية المدرسية، وإنما لا نطيل الكلام في هذا البحث اجتزاء بما ذكر، وقياسا لما لم يذكر عليه، وإنما نختم الكلام بهذا القول: "وهو أن الغلام سيشب ويتجند، وان الجيش لا يستتب له النصر بالشجاعة والوطنية فقط، بل بالقوة الطبيعية أيضا"

ذلك كلام الجريدة الفرنسية التي تشكو من فساد التربية في أرض التربية، ومن سوء التعليم في بلاد العلم والمدنية، فإذا كان ذلك كلامهم فما عسانا نحن أن نقول؟